**التعريف بمفهوم التنمية البشرية**

**بأبعاده المختلفة**

**إعداد**

**الدكتور محمد سعيد الحلبي**

**مستشار وباحث في التخطيط للتنمية الاقتصادية والاجتماعية**

**مقدمة**

بدأ مفهوم التنمية البشرية يتضح عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وخروج البلدان التي شاركت في الحرب مصدومة من الدمار البشري والاقتصادى الهائل وخاصة الدول الخاسرة. فبدأ بعدها تطور مفهوم التنمية الاقتصادية وواكبها ظهور التنمية البشرية لسرعة إنجاز التنمية لتحقيق سرعة الخروج من النفق المظلم الذي دخلت فيه بسبب الحروب. ومن هذا التاريخ بدأت الأمم المتحدة تنتهج سياسة التنمية البشرية مع الدول الفقيرة لمساعدتها في الخروج من حالة الفقر التي تعانى منها مثل ما قامت به مع كل من : بنجلاديش وباكستان وغانا وكولومبيا وكثير من الدول الأخرى. تطور مفهوم التنمية البشرية ليشمل مجالات عديدة منها : التنمية الإدارية والسياسية والثقافية، ويكون الإنسان هو القاسم المشترك في جميع المجالات السابقة.

لا يأتي تعقد مفهوم التنمية من تعقد ظاهرة التنمية في حد ذاتها ، أو من السيرورة التاريخية التي تعمل بداخلها، بل و أيضا من الطبيعة المركبة للمفهوم ذاته، وتعدد أبعاده و اختلاف مستوياته.

و الواقع أن مفهوم التنمية لم يأتي إلا بصيغة التقدم « المادي» و لم يعتمد في الأدبيات الماركسية إلا من باب توصيف عمليتي التحديث و العصرنة التي كانت تتخد من البعد المادي و الكمي المرجعية و المقياس.

و على هذا الأساس فإن إنتاج الثروة كان و لزمن طويل هدف علم الإقتصاد و منتهاه، و لم يكن البشر إلا عنصرا من عناصر الإنتاج، بحيث أن الإنسان هنا يبدو وسيلة لإنتاج الثروة ، على اعتبار أن هذه الأخيرة وسيلة لتطوير طاقات الإنسان الجسدية و العقلية ليعاود عملية الإنتاج على نطاق أوسع.

إلا أنه على الرغم من شيوع أطروحة الرأسمال البشري في الخمسينيات فإن جوهر تصور مكانة الإنسان بقي على ما كان عليه، إذ لم يؤدي هذا التطور الأكاديمي إلى الإهتمام بالإنسان بقدر ما تم التركيز عليه من منظور دوره في خدمة العملية الإنتاجية تراكما و توسعا. بمعنى أن اكتشاف دور المهارات و الكفاءات و الخبرات جاء على اعتبار أن الرأسمال البشري عاملا مستقلا في نمو إتاجية العمل و الزيادة في الإنتاج على المستويين الكمي و النوعي١. وهذا ما جعل مفهوم التنمية يتداخل في كليته مع مفهوم النمو ذي المحتوى الكمي مما يستدعي التمييز بين المفهومين: النمو و التنمية، و إبراز الأبعاد المتداخلة بينهما ، و الظروف المتباينة التي تميز كلا منهما عن الآخر و ذلك للوصول إلى منهج تكاملي بين ظواهر النمو المادي و عناصر التنمية البشرية. وفي تحليله لمفهوم النمو يعتبر جوزيف شومبيتر j.chompiter

إن النمو يشير إلى النمو الإقتصادي و الذي يمكن الإستدلال عليه في حجم ارتفاع نصيب الفرد من الدخل القومي خلال الدورة الإقتصادية للمواد المتاحة. فالنمو هو نمو في حجم الإنتاج الكلي الخام، و الذي يشير إلى مجموع السلع و الخدمات التي تم الحصول عليها خلال فترة زمنية محددة، و لذلك فمفهوم النمو ينطوي على الزيادة في الإنتاج. النمو إذن ظاهرة تدريجية و تراكمية و هذا يعني ضمنيا أن عملية النمو في الغالب تكون بطيئة، و هكذا فالنمو مفهوم كمي يطلق على الزيادة في الإنتاج.

و لقد اعتبر جوزيف شومبيتر أن التنمية تعني في الواقع تحقيق تغيرات جوهرية و تكنولوجية و اجتماعية و سياسية بالإظافة إلى تغيرات في الإقتصاد. فالتنمية لم تقوم على معطى اقتصادي محض ، بحيث أن استراتيجية التراكم الرأسمالي و إن كانت هي الأساس الذي قامت عليه التنمية الإقتصادية بالنسبة للدول المتقدمة، إلا أن الواقع يشير إلى فقر عوامل أخرى مساندة كقوى العمل و المهارات و الكفاءات التنظيمية والتطورات التكنولوجية المتتابعة و المرتبطة بالحضارة ، و أنماط من السلوك مرتبطة بأخلاق العمل، و بالإتجاهات العامة نحو العمل الصناعي.

و هكذا فالتنمية لم تعد تتلخص في تحقيق الزيادة في حجم الدخل القومي أو الفردي ، إنها تتضمن اعتيارات أكثر إلحاحا من تلك الإعتبارات التي يتضمنها مفهوم «النمو» كإنجاز تغيرات أساسية نحو الأفضل في مختلف أوجه الأبنية الإقتصادية و الإجتماعية و الثقافية التي تؤثر في إنتاجية المجتمع و بالذات في مجال التنمية البشرية. لقد أكدت تجارب الدول النامية وجود اختلافات عميقة تحد من إقامة علاقة بين مختلف النظم و بين ظواهر النمو الإقتصادي في كل المجتمعات ، حيث أتبثت التجربة اختلاف الموارد المادية و البشرية، و أساليب الإدارة السياسية ، و عمليات التنظيم ، بالإضافة إلى عدم تجانس مراحل التطور في كل المجتمعات ، و حتى بالنسبة للبلدان المتقدمة فقد ظهر فيها تفاوت في أنماط و مستويات التطور و نماذج التنمية المتبعة، نجم عنه تفاوت في النتائج سواء من حيث سرعة النمو أو مستوى تعميم المكاسب الإقتصادية و الإجتماعية على فئات المجتمع.

و بناءا على ذلك فإن المفهوم المجرد للنمو ليس له قيمة ، إنه أساس غير ملائم لبناء سياسة اقتصادية، حيث يقترح في الغالب نموذجا معينا مبنيا على أسباب غير ذات صلة تماما بالواقع الإجتماعي .

إن تحليل مفهوم النمو كما حدد و استخدم نظريا خلال السنوات الثلاثين الماضية، يجعلنا نطرح مجموعة من الأسئلة:

**النمو من أجل ماذا؟ و لأية غاية؟ و بأية شروط؟ ...**

إن هذه التساؤلات تشكل قاعدة مطالب الدول النامية، والتي عجزت نظرية النمو الإجابة عليها، بحيث لم يعد تحقيق الزيادة في حجم الدخل القومي أو ارتفاع نصيب الفرد من الدخل هو الهدف النهائي للتنمية. كما أن الأرقام و الإحصاءات و البيانات الكمية عن «النمو» على الرغم من كثرتها و تنوعها لا تعطي الصورة الحقيقية عن الوضع الإقتصادي و الإجتماعي في بلد ما. كما أن من الصعب إخضاع تلك البيانات للتحليل خصوصا في مجال دراسة نتائج التنمية نظرا لتدخل مجموعة من العوامل الكمية و الكيفية التي تؤثر على السكان.

وهكذا فإن مفهوم النمو يمكن اعتباره جزء من ظاهرة التنمية البشرية التي تشمل ما هو اجتماعي و اقتصادي و ثقافي و سياسي.

بحيث أن مفهوم التنمية البشرية في العمق هو عملية مستمرة في الزمان و المكان من أجل توسيع خيارات الإنسان التي تتجلى في الأنشطة اليومية «اجتماعية، اقتصادية ، ثقافية، سياسية...» . و يعتبر الإنسان مكون أساسي في عملية التنمية ككل حيث أن التنمية مهما كان ميدانها فهي تمس المورد البشري و نظرته إلى الأمور.

**التعريف بمفهوم التنمية البشرية:**

يمكن تعريف مفهوم التنمية البشرية بانها : عملية توسيع اختيارات الشعوب والمستهدف بهذا هو أن يتمتع الإنسان بمستوى مرتفع من الدخل وبحياة طويلة وصحية بجانب تنمية القدرات الإنسانية من خلال توفير فرص ملائمة للتعليم. ففى عام 1991 صدر تقرير التنمية والذي أكد فيه ان التنمية البشرية لا تؤدى مهامها بدون أن يكون هناك نموا اقتصاديا مصاحبا وإلا لن يكون هناك تحقيق في تحسن في الأحوال البشرية عموما.

وهناك من يطلق عليها اسم التنمية الانسانية وهو يأتي في إطار تطور مضامين مفهوم التنمية، استحدث مفهوم التنمية الإنسانية، وجعلت من المفهوم عنوانا لأول تقرير عن التنمية الإنسانية في نطاق الوطن العربي، تبناه برنامج الأمم المتحدة عام 2002. ويرى نادر فرجاني محرر التقرير إلى أن نقطة الانطلاق في مفهوم التنمية الإنسانية هو أن لجميع البشر لمجرد كونهم بشرا حق أصيل في العيش الكريم جسدا ونفسا. وكذلك فإن مفهوم الرفاه الإنساني في التنمية لا يقف عند المعايير الاقتصادية الضيقة، أو حتى عند التنعم المادي، أو إشباع الحاجات الأساسية وما شابه، ولكنه يمتد إلى الأمور المعنوية التي تؤكد سمو الإنسانية مثل التمتع بالمعرفة، بالحرية و احترام وتحقيق الذات.كما يرى بأن مصطلح الخيارات الوارد في تقارير التنمية الإنسانية، يعبر عن مفهوم أرقى، يعود للاقتصادي الهندي أمارتياسن A.SEN أطلقه في الثمانينات ألا وهو الأحقيات الذي يعبر عن الحق البشري الجوهري في هذه الخيارات، لذلك فإن مفهوم التنمية الإنسانية أوسع من مفاهيم التنمية العادية.

ورد في تقرير التنمية الانسانية العربية للعام 2002 التعريف التالي "يمكن أن تعرف التنمية الانسانية ببساطة بأنها عملية توسيع الخيارات، ففي كل يوم يمارس الإنسان خيارات متعددة بعضها اقتصادي وبعضها اجتماعي وبعضها سياسي وبعضها ثقافي، حيث الإنسان هو محور تركيز جهود التنمية فإنه ينبغي توجيه هذه الجهود لتوسيع نطاق خيارات كل انسان في جميع ميادين سعي الانسان" وأورد التقرير أن هذا التعريف ينطوي على الدلالات التالية:

* تعزيز الخيارات الإنسانية من خلال إتاحة الفرص والتمكين.
* اعتبار النمو الاقتصادي وسيلة لتحقيق الأهداف وليس غاية في حد ذاته.
* تفعيل مشاركة الناس في القرارات والعمليات التي تشكل حياتهم.

هذا التعريف يقودنا إلى التعريف الذي قدمه الباحث في مركز دراسات الوحدة العربية بشير مصطفى الذي يرى أن" مفهوم التنمية الإنسانية يستند إلى محورين اثنين:

1. **بناء القدرات البشرية للتوصل إلى مستوى رفاه إنساني راقي من خلال التمتع بمزايا الحياة الطويلة، الصحة، المعرفة، التعليم، الحرية.**
2. **توظيف قدرات التسيير في كافة النشاطات الإنسانية الاقتصادية والسياسية والمدنية.**

"وفي التحليل النهائي، التنمية الإنسانية هي تنمية الناس، ومن أجل الناس، ومن قبل الناس، وتشمل تنمية الناس بناء القدرات الإنسانية عن طريق تنمية الموارد البشرية، ويعني القول"التنمـية من أجل الناس" أن مردود النمـو يجب أن يظهر في حياة الناس، والقول " التنمية من قبل الناس" يعني تمكـينهم من المشاركة بفعالية في التأثير على العمليات التي تشكل حياتهم" فتنمية الإنسان هو جوهر التنمية الشاملة، ولا يمكن تحقيق أبعاد التنمية الأخرى بمعزل عن الإنسان، ولعل هذا ما يؤكد شمولية عملية التنمية.

ولقياس مستوى التنمية الإنسانية، أورد تقرير التنمية الإنسانية مجموعة مؤشرات هي: الصحة، التعليم، المعرفة، الحرية، الحرية السياسية، التسهيلات الاقتصادية، الفرص الاجتماعية، ضمانات الشفافية، الأمن الحمائي، وتمكين النوع.

وعودا على مفهوم التنمية البشرية وهو الاكثر شيوعا واستعمالا في التقارير والدراسات حيث تبين بانه هذا المفهوم قد تطور ليشمل مجالات عديدة منها : التنمية الإدارية والسياسية والثقافية، ويكون الإنسان هو القاسم المشترك في جميع المجالات السابقة. ولهذا فتطور الأبنية : الإدارية والسياسية والثقافية له مردود على عملية التنمية الفردية من حيث تطوير انماط المهارات والقيم والمشاركة الفعالة للإنسان في عملية التنمية إلى جانب الانتفاع بها. وعلى هذا يمثل منهج التنمية البشرية الركيز الاساسية التي يعتمد عليها المخططون وصانعو القرار لتهيئة الظروف الملائمة لإحداث التنمية الاجتماعية والاقتصادية. وبعد كل هذا يمكن إجمال القول أن التنمية البشرية هو المنهج الذي يهتم بتحسين نوعية الموارد البشرية في المجتمع وتحسين النوعية البشرية نفسها.

وفي تقريره "مبادرة من اجل التغيير"، عرف جيمس سبيث المدير التنفيذي لبرنامج الامم المتحدة الانمائي للتنمية [البشرية](http://www.bayt4.com/vb/showthread.php?t=27989) المستدامة على النحو التالي:

**"** [**التنمية البشرية**](http://www.bayt4.com/vb/showthread.php?t=27989) **المستدامة: هي تنمية لا تكتفي بتوليد النمو وحسب، بل توزع عائداته بشكل عادل ايضا. وهي تجدد البيئة بدل تدميرها، وتمكن الناس بدل تهميشهم؛ وتوسع خياراتهم وفرصهم وتؤهلهم للمشاركة في القرارات التي تؤثر في حياتهم. ان** [**التنمية البشرية**](http://www.bayt4.com/vb/showthread.php?t=27989) **المستدامة هي تنمية في صالح الفقراء، والطبيعة، وتوفير فرص عمل، وفي صالح المرأة. انها تشدد على النمو الذي يولد فرص عمل جديدة، ويحافظ على البيئة، تنمية تزيد من تمكين الناس وتحقق العدالة فيما بينهم."**

**غايات التنمية البشريه :**

تهدف عملية تنمية الانسان الى تحقيق جملة من الغايات والاهداف التي تصلح بها الحياة الانسانيه وترفع من مستوى معيشة الانسان ومنها :

1. بناء انسان قادر على مواجهة الحياة والتغيرات التى تحدث حوله بشكل ايجابى وفعال.
2. مساعدة الفرد على التفكير بشكل ايجابى وخلاق وتغيير نظرته من نظره سطحيه الى نظرة اكثر عمقا وبشكل مختلف للحياة من حوله.
3. تعليم الفرد على اتقان مهارات الاتصال الفعال وذلك من اجل اثراء تواصل الفرد بالمجتمع بشكل اخلاقى ومؤثر يعبر فيه الفرد عن نفسه ويتولد شئ من الارتياح بينه وبين اسرته واصدقائه وزملاء العمل وقائديه .
4. مساعدة الفرد في تطوير ادائة وقدراته وذلك من اجل ايجاد الوظيفة المناسبه له وكيفيه الحصول عليها ومايحتاجه لذلك من مؤهلات ودورات سمات فى الشخصيه.
5. تعليمة مهارات وفنون التعامل وكيفيه تعامله مع فريق العمل ومع قائد الفريق ويجب ان يتفهم الفرد انه مهما كان دوره صغيرا الا انه سيكون مؤثرا اذا ما قام به على النحو الامثل وعمل على اظهار ابداعاته الخلاقه به. فهو قائد المهمة التى يقوم بها مهما صغرت.
6. تعليم الانسان قيمة والهمية الوقت وتدريبة على مهرات اوفنون ادارة الوقت وتعليمة كيفيه استغلال طاقاته ومواهبه ووضع اهداف لحياته.
7. كيفيه التعامل مع المشكلات التى تواجه الفرد بشكل ايجابى, وفعال والبحث عن المخارج والحلول.

**أهم عوامل التنمية البشرية:**

التنمية البشرية يجب ان تتصف بالشمول والسعه وذلك لتحتوي كل ما يحيط بحياة الانسان ، اي كل مجالات الحياة التي يتعامل معها ، وهي بلا شك تشمل كل جوانب الحياة الانسانية ، ومن ابرز ما تشتمل علية التنمية البشرية من عوامل هو :

1. العوامل الاجتماعية: نمو ثقافة العمل والإنجاز وتغير المفاهيم المقترنة ببعض المهن والحرف.
2. العوامل الطبقية :مرونة البناء الاجتماعى والمساواة الاجتماعية.
3. العوامل السياسية : عدم احتكار السلطة وتحقيق الديمقراطية.
4. العوامل النفسية٠ضرورة تهيئة المناخ النفسى العام والتشجيع على التنمية
5. العوامل السكانية : الاستغلال الامثل للموارد البشرية
6. الظروف السكانية : ارتفاع مستويات المعيشة وانخفاض الكثافة السكانية.
7. العوامل الصحية : تحسن مستويات الرعاية الصحية وانخفاض الوفيات وارتفاع معدلات الحياة.
8. أوضاع العمل : تطور تقسيم العمل وارتفاع المهارات الفنية والإدارية.
9. العوامل التقنية : استخدام التقنية وتوطينها .

10.الأوضاع الإدارية : تطور أساليب الإدارة واعتماد أسلوب التخطيط.

**ابعاد التنمية البشرية**

يشير كثير من الباحثين في مجال التنمية البشريه ان للتنمية بعدين هما :

* الأول: يهتم بمستوى تطوير المهارات والقدرات حيث يهتم بالنمو الإنساني في مختلف مراحل الحياة لتنمية قدرات الإنسان، طاقاته البدنية، العقلية، النفسية، الاجتماعية، المهارية الروحانية  .
* الثاني : هو البعد الاقتصادي البشري: حيث أن التنمية البشرية عملية تتصل باستثمار الموارد  والمدخلات والأنشطة الاقتصادية التي تولد الثروة والإنتاج لتنمية القدرات البشرية عن طريق الاهتمام بتطوير الهياكل و البنية المؤسسية التي تتيح المشاركة والانتفاع بمختلف القدرات لدى كل الناس.

لا شك ان التنمية البشرية تساهم في تحقيق النمو الاقتصادي، والتطور المضطرد في انتاج الثروات، وتحسين الانتاجية، لانها من الشروط الضرورية لتحقيق التنمية، ، حيث يرى كثير من الباحثين انها هناك ارتباط ايجابي بين [التنمية البشرية](http://www.bayt4.com/vb/showthread.php?t=27989) والنمو الاقتصادي وخاصة اذا تم اتباع السياسات التالية:

1. التركيز على الاستثمار في التعليم والصحة، وتطوير مهارات الناس.
2. التشديد على بلوغ توزيع اكثر عدالة للدخل والاصول الإنتاجية.
3. خلق فرص عمل افضل بشكل مستمر.
4. اعتماد سياسة مناسبة للإنفاق الاجتماعي، تتضمن قيام الدولة بتأمين الخدمات الاجتماعية الأساسية، وإنشاء شبكات الأمان الاجتماعي الضرورية، بالتلازم مع تمكين الناس وتقوية قدراتهم.

ويجب ان تتصف التنمية البشرية بالاستدامة وهذا يعني ان تكون "التنمية عملية شاملة لسياسات اقتصادية وتجارية واجتماعية، تجعل [التنمية](http://www.bayt4.com/vb/showthread.php?t=27989) عملية قابلة للاستمرار من وجهة نظر اقتصادية، واجتماعية وبيئية". ويتطلب ذلك:

* عدم توريث الأجيال القادمة ديونا اقتصادية، او اجتماعية، تعجز عن مواجهتها.
* العقلانية في استثمار الموارد الطبيعية، وما يتطلبه ذلك من تعديل في أنماط النمو ومعدلاته، والتكنولوجيا المستخدمة.
* تعديل أنماط الاستهلاك المبددة للموارد الطبيعية والتي هي غير قابلة للاستمرار.
* تحقيق العدالة والإنصاف في التوزيع.

وفي الجانب الاجتماعي فإن القطاعات الاجتماعية تلعب دوراً مهماً في الإنتاج الاقتصادي، باعتبارها استثماراً إلى جانب كونها خدمات. ولقد أثبت كثير من دراسات اقتصاديات التعليم أثره في تحسين إنتاجية الفرد، وفي زيادة الإنتاج بصورة عامة. كما أثبتت كذلك العلاقة بين التعليم وانخفاض معدل وفيات الأطفال، وتنظيم الأسرة، وتوسيع قاعدة المشاركة الاقتصادية والسياسية.

وبالتالي يمكننا القول أن التنمية البشرية تستهدف توفير الشروط والظروف التي تمكن الإنسان – كل إنسان – من تحقيق إنسانيته – كل إنسانيته، وأن هذا التحقيق لذاتية الإنسان يشمل مختلف مقوماتها وخصائصها، وهو خط البداية في تصور مطالب الإنجاز الإنمائي، وهو كذلك خط النهاية في تقويم ذلك الإنجاز على آجاله القريبة والمتوسطة والبعيدة.

**المراجع**

* د.هايل عبد المولى و د. ابراهيم عواد المشاقبة : مهارات تطوير الأداء والذات ، دراسة في التنمية البشرية ، 2005 ، الأردن.
* مجلة وجهة نظر، العدد ٢٩ صيف ٢٠٠٦ ، ص٣٢.
* علم احتماع التنمية، جهينة سلطان العيسي، زكزياء خضور، كلثوم علي الغانم، مطبعة الأهالي للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص٣٧ و ص٣٩.
* مصطفى حجازي: التخلف الإجتماعي ، مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور، المركز الثقافي العربي، الطبعة التاسعة٢٠٠٥، ص ١٠.
* محمد حسن ،عبد الباسط ،التنمية الاجتماعية ، ط2، دار غريب للطباعة ، القاهرة ،1977
* برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية الإنسانية العربية 2002، الأردن: إيقون للخدمات المطبعية، 2002
* د.محمد سعيد الحلبي ، قراءة في تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002، محاضرة في المركز الثقافي العربي بأبي رمانة ، دمشق.